



المجلس العربي للطفولة والتنمية
Arab Council for Childhood and Development

التنوير وثقافة التقدم

أ.د. حسن البيلاوي
أمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية

ورشة عمل
العالم الرقمي وثقافة الطفل العربي
القاهرة: 28-29 ديسمبر 2019



ما الثقافة؟

تعدد تعريفات الثقافة

■ يعرفها علماء الأنثروبولوجي بأنها ذلك الكل المركب من المعارف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك وطرائق الحياة، التي يتسم بها مجتمع معين، ويضاف إلى ذلك الكل المركب طرائق الحياة التي يعيش بها، ومن خلالها، أعضاء ذلك المجتمع ومنجزاتهم ومنتجاتهم.



ما الثقافة وما الحضارة

الحضارة :

■ ويقترب التعريف السابق للثقافة من تعريف الحضارة بأنها ذلك الكل الشامل، في مجال متسع يشمل زمان ومكان وثقافة وتجمع منتظم له خصائص محددة وأحداث متواترة، كل شامل، في مكان وزمان وديمومة متسارعة الحركة.. أشكال من الفنون و أشكال من العلوم والتكنولوجيا والصناعات والسلع .. المدن والعمارة وطرق الحياة والمأكل والمشرب والزواج والتعليم.

مدينة واحدة لا تعبر عن حضارة .. ودولة واحدة لا تشكل حضارة.



تحديد مفهوم الثقافة

- التعريف الذي نستخدمه هنا هو التعريف المرتبط بالابستمولوجي (أي علم المعرفة)
ولذلك فالثقافة هنا هي بنية العقل – البنية المفاهيمية للفرد أو الجماعة.
- والثقافات متعددة في العالم .. أما الحضارة فواحدة. فالعالم يعيش الآن في أيامنا
المعاصرة حضارة واحدة كوكبية تَعْمُ كل أرجاء المعمورة كلها (كوكب الأرض) ..
ونتوقع غداً، بهذا المعدل المتسارع في الصعود إلى الفضاء، أن الحضارة ستكون
حضارة كونية .

العالم الآن.. حضارة واحدة .. بثقافات متعددة



المفهوم الأبيستمولوجي للثقافة

- الثقافة هي الإدراكات الذهنية .. أو بالأحرى هي "البنية المفاهيمية" للعقل .. وهي رؤية الفرد أو الجماعة للعالم والإنسان والمجتمع World View. وبالتالي تجعل للإدراكات والسلوك والممارسات - في مجتمع ما - معنى مشترك أو فهماً مشترك .. يهيمن على الجماعة بقناعة وقبول .. ويشكل سلوكها المقبول والمرغوب.
- الإدراكات الذهنية تتألف من معارف ومعتقدات وقيم واستدلالات وأهداف تتميز بأنها مباشرة وتكون الفهم المشترك للجماعة.



- في تشكيلة "البنية المفاهيمية" للفرد أو الجماعة توجد " المعارف المضمرّة كما توجد المعتقدات والقيم المضمرّة " .
- القيم هي مفاهيم تعبر عن توجه إلى المرغوب فيه - أو بعبارة أخرى ، هي أفكار مشتركة - على ما هو خير - بالنسبة للفرد أو الجماعة.
- الثقافة تتشكل لدى الفرد بالتنشئة. وتكون مؤثرة في السلوك حينما تتأصل في المؤسسات، ومن ثم يكون لها نفوذاً قوياً على مستوى النشاط الجمعي والمؤسسي.



■ يقول عالم الاجتماع الفرنسي " بيير بورديو Pierre Bourdieu " :

- الثقافة بنية في العقل . أو بالأحرى بنية عقلية. أطلق عليها "بورديو" مصطلح "الهابيتوس"، الذي يشكل العادات العقلية والنفسية للفرد والجماعة.
- والبنية الثقافية من حيث هي كذلك، هي " بنية بانية " لرؤية الفرد للعالم والحياة.. ومن ثم تشكل عاداته وعقائده وسلوكياته (للفرد والجماعة)، وتتكون خلال عمليات التنشئة الطويلة للفرد.. فتكون مضمرة في العقل.
- وهذه البنية البانية – أي الثقافة – تنتج، أو بالأحرى، تعيد إنتاج نفسها في الفنون والمسرح والعلوم والأدب والتكنولوجيا والتعليم، ما لم يحدث تغير ثقافي مغاير.
- ويطلق بورديو على هذه المنتجات الثقافية " البنية المبنية " أي التي تم بناؤها.. (مثل الكتب والمسرحيات والعلوم وكل المنتجات الثقافية والتكنولوجية .. إلخ.



■ والثقافة، من حيث هي كذلك، إما كابحة للتقدم .. فتعيد إنتاج المجتمع القائم، أو تكون رافعة للتقدم ... فتكون رؤيتها للعالم **World View** متجهة إلى المستقبل تستدعي " وضعا قادمًا " . وضعا أكثر إنسانية وأكثر تقدماً. ونقول عنها حينئذ.. أنها ثقافة التقدم.



لذلك نسأل ما التقدم ؟

وما ثقافة التقدم ؟



■ ثقافة التقدم .. تاريخياً ارتبطت بالتنوير

■ أو بالأحرى، نقول إن ثقافة التقدم وليدة مُثل التنوير .



التنوير وثقافة التقدم

- التقدم مفهوم يشير إلى حركة البشر نحو تحقيق الرقي الثقافي والتطوير الاقتصادي والاجتماعي .. وتوفير حياة الرفاه والسعادة للإنسان، وبناء مجتمعات العدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية.
- ارتبط مفهوم التقدم في نشأته وتكوينه بحركة التنوير وبناء نسق ثقافي مغاير مفتوح.
- حدث ذلك حينما تكونت بنية مفاهيمية جديدة في أوروبا - في القرن الثامن عشر.



العام 1500

- عام فارق في تاريخ البشرية.
- بداية إنهيار الإمبراطورية الصينية والإمبراطورية العثمانية.
- بداية بزوغ حضارة جديدة في أوروبا.

وبدأت حضارة جديدة لملت أجزاء أوروبا المفككة المتناحرة .. وحدثها وبدأت معها مسيرة التقدم .. وحدثت أمريكا الشمالية .. ثم امتدت إلى سائر المعمورة لتشكل حضارة كوكبية واحدة .. نما فيها مجتمع المعرفة في نهاية القرن العشرين .. ونشهد الآن الثورة الصناعية الرابعة .. في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين



نشأة التقدم

■ في البدء كانت النهضة .. وكان الإصلاح الديني .. وكان التنوير .. وكانت البنية المفاهيمية الجديدة .. وكانت الفلسفة .. وكان العلم .. وكانت الثورات الصناعية .. فكان التقدم.

إنها رحلة تكوين " بنية مفاهيمية جديدة لعقل أوروبا " خرج شعاعها من أوروبا إلى أمريكا .. ثم إلى العالم أجمع ليكون حضارة كوكبية تنامت في مجتمع المعرفة في نهاية القرن العشرين وتساعدت في بداية مسيرة الثورة الصناعية الرابعة مع العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

فما التقدم إذن ؟

- عرّف " كانط " فيلسوف التنوير " التقدم " بأنه رقي الحياة الإنسانية من المجتمعات البدائية إلى مجتمعات الحداثة.
- وعرّف " كانط " التنوير بأنه انتقال الإنسان من حاله " اللارشد إلى حالة الرشد " أي حالة اعتماد الإنسان على عقله هو نفسه، ولا سلطان على العقل سوى العقل نفسه.
- بفضل التنوير شهدت أوروبا حركة ثقافية واسعة في الفنون والعلوم والتكنولوجيا وتنظيم المجتمع سياسياً واجتماعياً – أفرز التنوير بنية مفاهيمية جديدة.



التنوير

- التنوير.. عقل لا يقبل ما يقال له ويأخذه على علاته، أو يتلقى معاني الحياة وكأنها شيئاً معطى.. أو يقبل ما أتى إلينا من الماضي على أنه تراث مقدس ولا يناقش.
- نريد عقلاً جسوراً يسائل كل ما يتلقاه، ويصحح كل ما يسمع.



ثقافة أوروبا في العصور الوسطى

- لقد كان الأوربيون في القرن الخامس عشر " يؤمنون " بأن السماء طبقات بلورية مغلقة ذات محور مشترك، وقد علقت فيها النجوم والكواكب وتدور حول الأرض. **صاغت تلك المعارف، أو ذلك الإيمان، " بنية مفاهيمهم "، وكل أفعالهم وأفكارهم ، وذلك لأنها تتبئهم بالحقيقة، ثم جاء تلسكوب جاليليو وغير الحقيقة.**

جيمس بيرك، عندما تغير العالم

عالم المعرفة 1994 : 7

- **كوبرنيكوس (1437-1543) أول من اكتشف دوران الأرض وتعرض للاضطهاد .. وأخفى كتابه حتى**



التنوير والتحول الثقافي وتفتح العقل الأوربي

الملاحظة والتجربة	عالم السحر
" توماس هوك " (1665) " ميكروغرافيا "	كتاب " كريستوفر مارلو " (1592) " د. فاوست "

قوانين ملاحقة الساحرات (1669). □



- نجح التنوير في تحرير عقل أوروبا من ظلام العصور الوسطى التي شاع فيها ثقافة السحر والشعوذة، وسيطر الموروث الثقافي بأوهام الاستبداد السياسي والدين الكنسي في امتلاك الحقيقة المطلقة.
- تحرر العقل .. وتجراً الإنسان في أعمال عقله، فاكتشف أسرار الطبيعة والكون والحياة والإنسان والمجتمع .. وتفجرت ثورة العلم والتكنولوجيا وارتقت الحياة .. وتأسست حضارة الحداثة .. حضارة جديدة.



وظهرت " الحداثة "

- كانت الحداثة حضارة جديدة .. نعت فيها الإنسانية برقي الفنون والموسيقى والعمارة والمياه النظيفة والصرف الصحي، والطب، والصناعة، والتكنولوجيا، والمؤسسات، ونظم الحياة السياسية، ونظم المجتمع على أسس الليبرالية والعقد الاجتماعي والعلمانية والفكر الناقد العقلاني، فتحققت الديمقراطية.
- تأسست الحداثة على مُثل التنوير.



التقدم نقيض التخلف

- **التخلف ليس تخلفاً اقتصادياً فقط .. التخلف واقع كلي : اقتصادي اجتماعي ثقافي.**
- **والتخلف الاجتماعي ليس الفقر ومستوى المعيشة المنخفض، فقد تُزيل الفقر (بعوائد مالية من البترول وخلافه) لكن يظل التخلف الثقافي والاجتماعي قائماً. وقد يكون لدينا أموالاً، نبنى مدارس، ونستورد تكنولوجيا، ويستعمل تلاميذنا - بفضل المال - التكنولوجيا في التعليم، لكن يظل التخلف الاجتماعي والثقافي قائماً، وتظل ثقافة وقيم التقدم غائبة.. وهنا يصعب تحقيق حرية أو ديمقراطية أو سعادة حقيقية.**



ثقافة وقيم التخلف

- الثقافة والقيم الاجتماعية في المجتمعات المتخلفة محكومة بالموروث الثقافي المستند إلى رؤية دينية ماضوية ضيقة تربط القيم " بالحلال والحرام" ، كأنما انحصر الوجود داخل هذا النطاق المحدد دون سواه. بينما القيم متعددة ومتنوعة بتتوع أنشطة المجتمع وسلوكيات الناس في الحياة المعاشة.
- **فالتغيير والتطوير قيمة، والعمل قيمة، والإبداع قيمة، والفن قيمة، والاكتشاف والبحث العلمي قيمة، والمنافسة قيمة، والموضوعية قيمة، والتماسك الاجتماعي قيمة، وقبول الآخر قيمة، والتسامح قيمة، والمحبة قيمة.**



1- سمات ثقافة التخلف

■ يرتبط بالتخلف ، اضطهاد النساء والأطفال والأقليات والطائفية، والإيمان بالسحر والخرافة،
والقدرية.

■ المجتمعات المتخلفة.. أقل اتجاهاً نحو التسامح والإنسانية من الحضارات الأكثر تقدماً.



2-سمات ثقافة التخلف

• **القدريّة** : تبطل أعمال العقل، ومن ثم تبعد قيم المبادرة الفردية، والإنجاز، والاعتماد على النفس، وتقضي على الطموح والمغامرة .. وتفادي التجريب العلمي الذي يكشف عن الأسباب الطبيعية للظواهر من حولنا " لا يجب أن نتحدى إرادة الرب " .

• **غياب الثقة** : تجعل الثقة محصورة في نطاق العائلة .. تسهم في صغر حجم المشروعات والتوسعات المؤسسية .. تنمي الفساد والمحسوبية .. تستبعد الكفاءات... وتعوق قيم المحبة والتماسك الاجتماعي.



3- سمات ثقافة التخلف

- ذوبان الفرد في الأسرة، وذوبان الأسرة في المجتمع، وذوبان الاثنين في رؤية كونية تقليدية
- دوجماطيقية متشددة في وهم امتلاك الحقيقة المطلقة باسم الدين.
- المعايير الخلقية والسلوكية المطلقة.
- الأسرة الكبيرة ومعدلات خصوبة عالية في المواليد.
- التماثل الاجتماعي في مقابل الاختلاف.
- غياب قيم الإنجاز الفردي.
- قيم التعبير عن الذات، في مقابل قيم البناء المرتبطة بعدم التسامح والتشدد على القيم المادية،
والقدرية، وتبني الأنشطة الدينية في مقابل تبني قيم التعليم والصحة والجمال.



4- سمات ثقافة التخلف التعصب - والدوجما - والأصولية الكامنة

- المتعصب (الدوجما) شخص مسكون بيقين مطلق، عقله لا يعرف الشك، يفتقد دافع (أو عادة) البحث عن الحقيقة.
- مصاب بوهم امتلاك الحقيقة المطلقة " الحقيقة جاهزة بين يديه" ..
- ملاك الحقيقة المطلقة لديهم إجابة عن كل الأسئلة ؛ أسئلة الحياة والموت.



معضلة التقدم التناقض بين الوضع القائم و الوضع القادم

- شكلت التغيرات في الحضارة الكوكبية نسقاً ثقافياً في مجتمع المعرفة يقوم على التنوير والتغيير والتطور والابداع.. نطلق عليه "نسق ثقافة الابداع" ..
- ثمة تناقض بين " نسق ثقافة الابداع (النسق القادم الذي نسعى إليه) والنسق القائم المهيمن على مجتمعاتنا العربية في معظمها.
- النسق القائم هو نسق "ثقافة العقل المتلقى" .



النسق الثقافي القائم

- نسق " ثقافة العقل المتلقي " .. نسق قوامه النقل وثقافة المشاهدة .. يكرس الماضوية .. وثقافة الذاكرة وثقافة الصمت، ويكرس الأصوليات الظلامية التي تدعي (وهم) " امتلاك الحقيقة المطلقة " ، الذي يفرز التطرف.. والإرهاب.
- " نسق العقل المتلقي " يمنع العقل عن القيام بوظيفته في التفكير .. والنقد .. والابداع.. ومن ثم يمتنع التقدم. ويصعب توفير فرص النمو والنماء للمعرفة والعلم والبحث العلمي.
- نسق العقل المُتَلَقِّي، وهو نتاج هيمنة الماضوية ذلك الموروث الثقافي الذي أبطل أعمال العقل ..



ما الموروث الثقافي

- الموروث الثقافي كينونة كامنة، قاطنة ومضمرة في جذور العقل، من الرؤى، والمعارف، الراسخة، والقيم والمعتقدات، تعبر عن نفسها في لغة الحياة، وتتجسد في سلوكيات يومية، وفي صيغ الحلال والحرام.
- بعبارة أخرى الموروث الثقافي هو ذلك، الموروث المختبئ في العقل. يبطل أعمال العقل ويعوق اكتشاف المجهول من حوله في الطبيعة والكون والحياة، فلا ينتج علماء ولا يستحدث تكنولوجيا، ولا يبدع فناً.
- الأصولية الظلامية تتدثر بالموروث الثقافي، استناداً إلى وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ليتوقف التأويل والاجتهاد والتفكير العقلاني. كانت النتيجة حالة من انسداد التاريخ في بلدان المنطقة.



مقاومة الموروث الثقافي للمعرفة

" المعرفة نسبية قوامها الفهم والتأويل ، ولكنها في نسق ابستمولوجيا الموروث الثقافي (العقل المتلقي وثقافة النقل) ليست معرفة. إنها بالأحرى " مطلقات " وأحكام قطعية تستند إلى سلطة نقل أعلى (دينية أو سياسية) .. توفر أجوبة جاهزة لكل شيء في الحياة .. والموت .. (سؤال وإجابة نموذجية) " .



إخفاق الموروث الثقافي والعقل المتلقي في توطين العلم الحديث

- رغم التاريخ الطويل في العلم والبحث العلمي والتعليم الجامعي في كثير من البلاد العربية، إلا أن التعبير الاجتماعي للعلم **Social Inscription of Science** ظل غير مستقر في الثقافة العربية بوجه عام.
- ورغم جهود الحداثة في بعض الدول العربية منذ محمد علي في مصر في القرن (19)، فإن الثقافة العربية في كثير من جوانبها ظلت ثقافة في حداثة غير مكتملة أو بالأحرى بعيدة عن الحداثة.



■ لماذا يظل الموروث الثقافي راسخاً، ولماذا تظل المعتقدات الراسخة راسخة بقوة، وتعيد إنتاج

نفسها، أو بالأحرى يعاد إنتاجها؟ ومن صاحب المصلحة في إعادة إنتاجها؟

■ وما الآليات التي يتم بها إعادة الإنتاج؟

■ الأصولية الدينية .. التنمية الريعية .. التنمية الطفيلية.



■ إن قفل باب الاجتهاد .. ومطاردة الفلسفة على أيدي الفقهاء المسلمين فيما بين القرنين

التاسع والحادي عشر أدت إلى قمع التفكير العقلاني والفلسفي والتجريبي، وإعادة النظرة

القديمة إلى العالم؟

■ نظرة مركزية ترفض الصيرورة والفرديانية، فشاع التفكير الخرافي والسحر والشعوذة،

وسادت اللاعقلانية والقدرية، وتحكمت الأصولية بوهام امتلاك الحقيقة المطلقة.



■ في النهاية، كيف نحكم على الثقافة :

- ينبغي الحكم على الثقافات .. من حيث قدرتها على إستيعاب مُثل الحضارة المعاصرة لتحقيق الرفاه والرخاء الاجتماعي.. والتوجه نحو مستقبل مغاير دائماً بما يكفل دوام صيرورة التقدم.
- إن أسوأ أنواع الثقافة هي تلك الثقافة الشعبية الدوجماطيقية التي تكرر أسوأ احتكار للحقيقة المطلقة Claudio veliz 1994. ويسمى مراد وهبه وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ومن هنا التنوير والعلمانية من الشروط الأساسية لثقافة عقلانية.



■ يعرض «» هاريزون " في دراسته عن التغير الثقافي لكلمات لأحد المفكرين من أمريكا اللاتينية،
بقوله :

" إن الإصلاحات الاقتصادية والتعليمية والتشريعية اللازمة لتحديث أمريكا اللاتينية لا يمكن تحقيقها،
مالم يسبقها أو يصحبها إصلاح لأعرافنا، وعاداتنا، وأفكارنا، وكل المنظومة المعقدة من المعارف
والتصورات، والعادات، والقيم، والصور التي نفهمها حين نقول " الثقافة « (هاريزون 2009).



هل يمكن أن يحدث التغيير الثقافي؟

- يحدث التغيير الثقافي من خلال حراك سياسي اجتماعي قوي يواجه الموروث الثقافي -
مواجهة نقدية عقلانية.
- أو بالأحرى تعبئة سياسية اجتماعية بكل مؤسسات المجتمع لبناء تيارات التنوير .
- وأن تكون التربية في قلب جهود التنمية.
- التنوير هو المدخل لبناء ثقافة التقدم.



كيف تقدمت أوروبا .. وأسست الحداثة .. وأصبحت الحضارة العالمية ؟



مقابلة مذهلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر

- تقابلت أوروبا .. حضارة بازغة تشق طريقها إلى التقدم .. مع الإمبراطورية العثمانية، امبراطورية تمثل حضارة واهنة بدأت طريقها إلى الأفول .
- تمت المقابلة مرتين :
- ✓ المقابلة الأولى : مقابلة على أرض أوروبا في فيينا (13 يونيو 1683) .
- ✓ المقابلة الثانية : مقابلة على أرض مصر بالمجمع العلمي المصري (12 أغسطس 1798)



علامات التدهور في الإمبراطورية العثمانية

- تقرير " أوجيه جيسيلين دي بوسبيش " في القرن الخامس عشر حول غنى وعظمة الإمبراطورية العثمانية وجيوشها الجبارة.
- تقرير أوز بيك .. عن رحلته نحو الغرب..في القرن السابع عشر حول ضعف الإمبراطورية العثمانية وحال الجهل البدائي.



العثمانيون

- مرسوم سليم الأول (1515) بتجريم الطباعة والمطبعة.
- هدم مرصد " **تقي الدين الراصد** " (11 سبتمبر 1577)، أدانه شيخ الإسلام " قاضي زاده " .. أمر السلطان بهدم المرصد (1580).
- أبحاث " **حسين فقي تاماني** " في معهد المهندسين الجديد في مطلع القرن التاسع عشر، كانت تقول بمركزية وثبات الأرض.. ودوران الشمس والقمر حولها.



تحدثت قسّمات الحدّثة

الثورة العلمية والفكرية في أوروبا أكدت أن :

- الحدّثة ليست عملاً توفيقياً بين العلم الحديث والدين.
- الحدّثة قامت على مبدأ التسامح والتصالح بين العلم وكافة المعتقدات الإيمانية.
- قبل العقل الأوربي العلم والتفكير العلمي والعقد الاجتماعي والطب والفلسفة .. وحرية التفكير وحرية التعبير.
- كما أحدثت المعرفة ثورة في التقدم التكنولوجي أحدثت كذلك ثورة في بناء المؤسسات وتنظيم المجتمع.



- إن صعود المجتمع الصناعي، ونشأة الحداثة، ارتبطا بتحولات ثقافية متلاحمة في مواجهة المنظومة القيمية التقليدية.. والتفكير الظلامي المغلق.
- إن تطوير الثقافة ممكن بل وضروري من أجل التطوير والتقدم، ولا بد من بناء رؤية جديدة إلى العالم World View تختلف على نحو نسقي مع تلك الرؤية التي تعيشها شعوب المجتمعات المتخلفة التي يحكمها الأموات بتراث ثقافي ماضوي.



الحدائثة

- أفرزت الحدائثة قيماً جديدة، قيم المبادرة والعمل المنتج والتطلع إلى التقدم في حركة مستمرة.
- في المجتمعات التقليدية تسود ثقافة تقليدية راكمه كبحيرة آسنة يتطلع الناس إلى الوظائف الحكومية .. كتطلعهم إلى المساواة في الفقر.
- قيم الثقافات الزراعية التقليدية غير قيم الحدائثة.



- إن جهود التنمية تتطلب نسقاً ثقافياً مغايراً لصالح التنمية والتقدم لإزاحة العوائق الثقافية التي تحول دون التقدم.



الإبداع نتاج ثقافة وتفكير وقيم حديثة

- الفردية والاعتدال العقلائي
- القانون والمعايير الأخلاقية
- المنافسة المحركة للإنجاز
- المنافسة في الثقافة المنغلقة صورة من صور العدوان.
- المنافسة في الثقافة المنفتحة حافز للإنجاز والتقدم الجماعي.
- العدالة.. لا تخص الأجيال الحالية فقط بل تخص أجيال المستقبل أيضاً.. العدالة فكرة وثقافة.
- أخلاقيات العمل



• فكرة الحرية والقانون العادل :

• الحرية هي الخضوع للقانون الكامل

• لكن القانون يصنعه الناس .. لذلك لابد أن يكون القانون عادلاً.

• هكذا بدأت أفكار العقد الاجتماعي وبناء المؤسسات.



التنوير عامل حاسم في الحدائة

- العلم ليس هو التنوير .. العلم نتاج للتنوير
- لا علم بلا عقل مستتير
- الاستنارة قبل العلم .. والأسبقية ليست زمنية بالطبع، إنها أسبقية منطقية.
- ثورة العلم إبداع .. فلا بد من أن يقوم به عقل جسور ناقد تحرر من العقل ومن أسر الفكر الظلامي.

العلم صرح يرتكز على دعائم العقل، فلا علم بلا عقل يُختبر بالاستناد إلى الحواس، والأدوات الفنية المساعدة. ولا علم بلا عقل يرجع إلى قوانين (ريف خوري 2013 ص 47)



- لا علم بدون التنوير .. وإنطلاق العقل في الكشف عن المجهول في الطبيعة والمجتمع.
- التنوير والثقافة المتفتحة بعقل التنوير تحرض على إعمال العقل .
- العقل الذي يطرح الأسئلة الناقدة العقلانية، هو العقل المؤدي إلى الابداع.
- الابداع هو قاطرة التقدم والتطور الاقتصادي والاجتماعي.
- الثقافات الدوجماطيقية المنغلقة تقمع الإبداع .. وتحجم العقل في إطار النقل.



ثقافة وقيم الحداثة التي رصدها ماكس فيبر

- ✓ العمل الجاد والعقلانية .. والتفكير العلمي
- ✓ الابداع
- ✓ الانفتاح الفكري
- ✓ المبادرة المنتجة
- ✓ قيم التعلّم الذي يبني الشخصية
- ✓ الادخار الذي يستفاد به في التنمية
- ✓ الاستثمار
- ✓ الدقة في العمل

يقول ماكس فيبر : علينا أن نعمل كي نتحقق لنا السعادة كنتيجة مترتبة على هذا العمل :
○ الدقة كانت وراء التحفيز لصناعة الساعات.



■ فرق ماكس فيبر بين نمطين من التعليم أفرزهما التنوير: نمط من التعليم يعلم الناس عن طريق التلقين، وأن يكون علمهم وتكون معارفهم منقولة على لسان فقهاء الدين، والناس ليس عليهم أن يقرأوا.

■ وكان فقهاء الدين المسيحي من الكنائس في العصور الوسطى يحظرون على الناس الاعتماد على أنفسهم في قراءة وفهم الكتاب المقدس.

■ النمط الثاني الذي تأثر بالتنوير يدعو إلى قراءة الكتاب المقدس بدون وسيط. وكانت دعوة إلى الفهم والتأمل الذاتي.

فتح ذلك الباب أمام حركة "التعليم العام" في أوروبا وازدهر الفكر التربوي في اتجاهات مختلفة تدعو إلى تنمية شخصية وعقل الطفل.



- ارتبط البحث عن الأفكار المستتدة إلى التفكير الناقد العقلاني بالسلوك الراقى والمنتج. ومن ثم ظهر المبدأ العلماني في الفكر والسلوك.

التفكير النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق
مراد وهبه

- يتنافى ذلك مع التفكير الغيبي ... والإيمان الضيق الصارم بالقدر... وازدهار الأصولية الدينية.

يؤدي ذلك إلى "التفكير في النسبي بما هو مطلق وليس بما هو نسبي"



الثقافة ميزة تنافسية

■ تكمن الميزة التنافسية في أي مجتمع في الثقافة، وفي الانفتاح الفكري، وفي العقلانية، وفي المبادرات الفردية، وفي قيم العمل، وفي المعرفة المضمرة في العقل المرتبطة بالتطلع إلى التقدم ... والإبداع.

■ يقول كلاوس شواب الذي صك مصطلح الثورة الصناعية الرابعة.

الدرس الدائم الذي تعلمناه منذ الثورة الصناعية الأولى وما زال قائماً حتى الآن هو

" الإبداع "

" الابداع هو محرك التطوير والتقدم ".



- التنمية بدون إبداع وثقافة التنوير والتقدم ليست التقدم.
- قد تحقق التنمية إنجازات اقتصادية أو اجتماعية.
- التنمية لا تحقق تقدم مالم ترتبط بنسق ثقافي مغاير، يستدعي وضعاً قديماً، بديلاً عن وضع قائم متخلف.
- التقدم حالة كلية من الرقي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي تحقق الرفاه والسعادة للبشر.



■ قد يكون لمجتمع ما القدرة على استيراد التكنولوجيا، مع عدم قدرته على استيعاب المعرفة التي أنتجت التكنولوجيا. ولا يمكن استيعاب أو نقل التكنولوجيا إلا بنقل واستيعاب المعرفة التي أنتجت التكنولوجيا.

■ وقد يتفق المجتمع - أي مجتمع غني - على التعليم كمظهر من مظاهر الغني - لكنه لن يكون إلا " تعليم اليسر في تنمية التخلف " . إنه وهم التقدم.



- إن جهود – الاقتصاديين وحده – في التنمية يمثل الجهد الأقل في تحقيق التقدم. وأصحاب هذا الجهد يتحاشون التصادم مع الموروثات الثقافية (الأبيستمولوجية) الدفينة في عقل الجمهور ، ومن ثم تبقى الموروثات عائقاً خفياً كابحاً لكل تقدم.
 - هؤلاء الاقتصاديون الذين يتجاهلون تحرير الجماهير من الموروث الثقافي، سوف تتحطم أحلامهم – لا محالة – على صخرة التخلف الثقافي للجماهير.
 - يقول عالم الأنثروبولوجي الشهير " روي الين " :
- « إن عمليات التكيف الثقافي نادراً ما تفضي إلى حلول ممكنة لمشكلات التخلف الثقافي ».



- لا يجب الركون إلى تلك القاعدة النظرية، التي تعبر عن بعض الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، ومنها علم الاجتماع اليساري التقليدي، التي تقول بأن التطور الاقتصادي، وتحقيق العدل الاجتماعي أو النمو الاقتصادي، من شأنه أن يؤدي إلى تقدم.
- إن هذه القاعدة أو المقولة لا تعبر عن هدفنا، إنها تضع العربية أمام الحصان.
- إن الهدف هو إزاحة العائق الثقافي أمام التنمية، حتى يمكن أن نحقق التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وتحقيق العدل الاجتماعي.
- إن العدل الاجتماعي نفسه ثقافة، والعدالة فكرة، والعدل ثقافة وقيم، والثقة والتماسك الاجتماعي قيم وعادات عقلية وسلوكية.



- ثمة اعتقاد خاطئ أيضاً يعتقدُه " **صمويل هنتجتون** " بأن التطور الثقافي قيم تحدث وتبنى من خلال إشاعة الديمقراطية.
- إن الديمقراطية لا تتم إلا من خلال رحلة طويلة. يقول مراد وهبه في "رباعية الديمقراطية " .. أن الديمقراطية إنما تقوم عبر العلمانية والليبرالية والعقد الاجتماعي والتنوير. لا ديمقراطية بدون ثقافة عقلانية علمانية، ولا علمانية بدون التنوير.
- إذا ذهب الجماهير إلى صناديق الانتخابات وهي راضخة لهيمنة ثقافية متخلفة فإنها سوف تصوت لإعادة إنتاج التخلف. إن صناديق الانتخاب هي آلية مذهلة لإعادة إنتاج التخلف وتكريس هيمنة ثقافة ماضوية متخلفة، حينما تكون الجماهير تحت هيمنة التخلف.



• التنمية لتحقيق التقدم .. تنمية شاملة متكاملة، ذات مسارات متعددة .. اقتصادياً وثقافياً. ولا بد من

الإجابة عن الأسئلة الآتية :

✓ هل المسارات الثقافية المتبعة في تنشئة أطفالنا والأجيال الجديدة تنمي نماذج إدراكية

تتويرية عقلانية بقيم وسلوكيات التقدم؟

✓ نفس السؤال يجب أن نكرره .. مع المرأة .. مع الثقافة الجماهيرية .. مع الإعلام .. مع كل

نشاط إقتصادي وإجتماعي.



ما العمل لبناء نسق ثقافي يحقق التقدم ؟



- إن المثقف الفرد، مهما كان علو شأنه، وقوة فكره، لا يمكن أن يؤثر في إيجاد نسق مغاير للثقافة مالم ينتج تياراً في حركة الجماهير اليومية.



• ليس هناك شعباً واعياً بفطرته ، الشعب – أي شعب – ينقل إليه الوعي نقلاً من خلال مثقفيه ،

المثقفين المستنيرين.

• ينقل الوعي إلى داخل الشعب، ويتوطن في عقل الجمهور، بالمثقفين الداعين إلى أعمال العقل

بشجاعة، وتسليح الناس بمهارات التفكير الناقد والعقلاني، وإثارة قوى الابداع.



ماذا بعد؟



كيف نتقدم ؟

- الدول التي تقدمت في آسيا استطاعت أن تتخلص من أفكارها القديمة الموروثة
- **" المعرفة المضمرة "** القابعة في جذور العقل .. تخلصت آسيا من قيم ازدياء العالم المادي، والإذعان للسلطة، والقضاء والقدر.. وتمكنت من بناء رؤية كلية جديدة عن الكون والإنسان والمجتمع ومعنى الحياة.
- صاغت رؤيتها من سياقات الحضارة الكوكبية المعاصرة، تفاعلت مع حضارة الغرب.. فقبلت العلم .. وأرست ثقافة جديدة بقيم ومبادئ جديدة.



«فالناس كما تفكر تعيش»

ومن هنا كان شعار المجلس العربي للطفولة والتنمية

«عقل جديد .. لإنسان جديد .. لمجتمع جديد»



تذكرا